وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للبنات
قسم اللغة العربية

عنوان المحاضرة

(أدب عصر ما قبل الاسلام)

اسم التدريسي

م. د. رغده عامر ياسين

الايميل الجامعي:- raghda.yaseen@tu.edu.iq

١٤٤٦ هـ

٢٠٢٥م

الحياة الجاهلية

الأحوال الاجتماعية

كانت القبيلة في العصر الجاهلي تتألف من ثلاث طبقات : أبناؤها وهما يربط بينهم الدم والنسب وهم عمادها وقوامها ، والعبيد وهم رقيقها المجلوب من البلاد الأجنبية المجاورة وخاصة الحبشة ، والموالي وهم عتقاؤها ، ويدخل فيهم الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم ونفتهم عنها لكثرة جرائرهم وجناياتهم . وكانوا يعلنون هذا الخلع على رؤوس الأشهاد في أسواقهم ومجامعهم ، وقد يستجير الخليع بقبيلة أخرى فتجيره ، وبذلك يصبح له حق التوطن في القبيلة الجديدة ، كما يصبح من واجبه الوفاء بجميع حقوقها مثله مثل أبنائها .

ومن هؤلاء الخلعاء طائفة الصعاليك المشهورة ، وكانوا يمضون على وجوههم في الصحراء ، يتخذون النهب وقطع الطريق سيرتهم ودأبهم ، على نحو ما نعرف عن تأبط شرا والسليك بن السلكة والشنفري . على أن منهم من كان يظل في قبيلته لفضل فيه مثل عروة بن الورد ، وكان كريماً فياضاً ، وأثر عنه أنه كان يجمع إلى خيمته فقراء قبيلته عبس ومعوزيها ومرضاها ، متخذاً لهم حظائر يأوون فيها، قاسماً بينه وبينهم مغانمه .

وهذا الخلع إنما كان يحدث في حالات شاذة ، أما بعد ذلك فإن أفراد القبيلة كانوا متضامنين أشد ما يكون التضامن وأوثقه ، وهو تضامن أحكم عراه حرصهم على الشرف وقد تكونت حوله مجموعة من الخلال الكريمة ، لعل خير كلمة تجمعها هي كلمة المروءة التي تضم مناقبهم ، من مثل الحلم والكرم والوفاء وحماية الجار وسعة الصدر والإعراض عن شم اللئيم والغض عن العوراء .

ولم تكن خصلة عندهم تفوق خصلة الكرم ، وقد بعثها فيهم حياة الصحراء القاسية وما فيها من إجداب وإمحال فكان الغنى بينهم يفضل على الفقير ، وكثيرا ما كان يذبح إبله في سنين القحط ، يطعمها عشيرته ، كما يذبحها قرير العين لضيفانه الذين ينزلون به أو تدفعهم الصحراء إليه . ومن سنهم انهم كانوا يوقدون النار ليلا على الكثبان والجبال ، ليهتدي إليهم التائهون والضالون في الفيافي ، فإذا وقدوا عليهم أمنوهم حتى لو كانوا من عدوهم . ويدور في شعرهم الفخر بهذه النيران وان كلابهم لا تنبح ضيوفهم لما تعودت من كثرة الغادين والرائحين ، يقول عوف بن الأحوص

ومستنبح يخشى القواء ودونه من الليل بابا ظلمة وستورها

رفت له نارى فلما اهتدى بها زَجَرْتُ كلابي أن يرد عقودها

فلا تسأليني واسألي عن خليفتي إذا رد عافى القدر من يستعيرها

ترى أن قدرى لا تزال كأنها لذى القروة المقرور أم يزورها

مبرزة لا يجعل الستر دونها إذا أخمد النيران لاح بشيرها؟

إذا الشول راحت تم لم تقدِ لحمها بألبانها ذاق السنان عقيرها

واشتهر عندهم بالكرم الفياض كثيرون ، مثل حاتم الطائي الذي ضربت الأمثال بكرمه ، وهو يصوره في كثير من شعره كقوله .

إذا ما بخيلُ النَّاسِ هَرَّتْ كلابه وشق على الضيف الغريب عقورها

فإنى جبان الكلب بيتى موطأ جواد إذا ما النفسُ شَع ضميرها

وكانوا لا يقدرون شيئاً كما يقدرون الوفاء ، فإذا وعد أحدهم وعداً أوفى به وأوفت معه قبيلته بما وعد ، ومن ثم أشادوا بحماية الجار لأنه استجار بهم وأعطوه عهداً أن ينصروه . وجعلهم ذلك يعظمون الأحلاف فلا ينقضونها مهما قاسوا بسببها من حروب . وبلغ من اعتدادهم بهذه الخصلة أن كانوا يرفعون لمن يغدر منهم لواء في مجامعهم وأسواقهم ، حتى يلحقوا به عار الأبد . يقول الحادرة لصاحبته سمية

اسمى - ويحك - هل سمعت بغدرَة رفع اللواء لنا بها في مجمع

وليس هناك خلة تؤكد معنى العزة والكرامة إلا تمدحوا بها ، فهم يتمدحون بإغاثة الملهوف وحماية الضعيف والعفو عند المقدرة ، كما يتمدحون بالأنفة وإباء الضيم ، وكيف يقبلون الضيم ، وهم أهل حرب وجلاد ، يقول المتلمس :

إن الهوان حمار الأهل يعرفه والحر ينكره والرسلة الأجد

ولا يُقيم على خَسْف يُراد به إلا الأذلان : غَيْرُ الأهل والوتد

هذا على الخسف معقول برمته وذا يشج فلا يبكى له أحد

فهم لا ينكرون شيئاً مثل إنكارهم للهوان والضيم، فهما السوأة الكبرى والمثلبة العظمى إذ يعنيان الذل وأن القبيلة استبيحت فلم تعد تستطيع الدفاع عن كرامتها وكل شيء إلا الهوان ، وكان أقل شعور به يثيرهم ، على نحو ما مر بنا من ثورة عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند حين علم بإهانة أمه في بلاطه ، وكان نازلا معها عنده ، فاستل سيفه وقتله ، وتغنى شعراء تغلب طويلا بهذا الحادث مفاخرين بعزتهم . وكان للشجاعة والفروسية عندهم منزلة ليس فوقها منزلة ، بحكم حروبهم الدائرة التي لا تنى ولا تفتر

وكان سادتهم يمثلون هذه الخصال جميعاً فى أقوى صورها